الفصل الثاني عشر

قناع بويول

حوار مع أليكس غارسيا أحد مدربي ميسي

حُـدِّد مكان اللقاء عند حلبــة التزلّج في ملعب نو كامب. اللاعبون الشباب المحترفــون يلعبون، وهناك آخرون يواصلون أداء بعض التمارين المرهقة التي يرافقهــا صــدام عنيف على الطرف الآخر من الحاجــز الزجاجي الذي يفصل الحلبــة عــن المقصف والمرافــق الرياضية. يعــرف أليكس غارسيــا أحد تلك التماريــن جيدًا، وإن كان يمارس التمرين على أرضية مختلفة تمامًا. أليكس في الثانية والأربعين من العمر، كان لاعب وسط هدّافًا في النادي الكاتالوني (لعب أول مباراة له في الخامس من شهر كانون الأول عام 1990م، ضمن أشهر فريق مــرّ على النــادي: فريق الأحلام)، وعمل مدرِّبًا لفريــق الشباب في النادي مدّة تســع سنوات (درَّب ميســي موسمًا كاملًا). وهو الآن يــدرِّب فريق نادي دينامو تيبليسي.

لنعــد قليلًا إلى بطولة موســم 2002م-2003م، مَن أبــرز اللاعبين الذين أشرفت على تدريبهم؟

«هذا هو عامي الثاني الذي ما زلت فيه مدرِّبًا للفريق (أ)، الذي ضمّ مجموعة من الفتية الموهوبين، أمثال: سيسك فابريغاس، وبيكيه، وفاسكيز، وليو».

كيف كان هذا الأخير؟

«كان متوقّد الذهن، ينتبه لكلّ شاردة وواردة، هادئًا، خجولًا، متحفّظًا، راقيًا. لقد كان لاعبًا فريدًا ومتميّزًا؛ إذ لم يتمكّن أحد من إيقافه حال حصوله على الكرة، وكانت مراوغاته فاصلة حاسمة. أذكر أيضًا أنّه كان يشعر بضيق شديد في حال لم تمرَّر له الكرة، أو تراجع أداؤه على نحوٍ لا يرقى إلى طموحه، لكنّه لم يكن يحتج على قرارات الحكّام، أو على أيّ خطأ ارتُكِب بحقّه، ولم يحاسب صاحبه على ذلك».

كيف كان تعامله مع بقية أفراد الفريق؟

«لقد كانوا يعتنون به كثيرًا، ويدافعون عنه؛ لأنّه كان بمنزلة أخيهم الأصغر، فضلًا عن تعرّضه كثيرًا للأذى من لاعبي الفرق المنافسة، وهذا ما دفع بيكيه وفاسكيز إلى مساندته دائمًا. لقد كان الجميع يدركون أهميته ودوره الفاعل في الفريق، وقدرته على حسم المباراة في أيّ لحظة».

هل نشبت بينكما أيّ مشكلات؟

«لا، أبدًا. كنت أدرك أنّه بعيد عن وطنه وعائلته، وأنّه يعيش هنا مع والده وحدهما. كنت أتخيل مدى الحنين الذي يشعر به تجاه وطنه وبلدته، وأسأله أحيانًا عن ذلك الأمر، لكنّه كان يتصرّف بصورة طبيعية، وكأنّ كلّ شيء على ما يرام. ولعلّ أبرز ما كان يتصف به، هو قدرته الفائقة على إخفاء مشاعره كلّها، وطموحه الذي لامس عنان السماء. ومع أنّه كان صغيرًا لم يتجاوز سنّ الخامسة عشرة بعدُ، لكنه كان على دراية بما يصبو إليه، وبوجود فرصة سانحة للعب مع فريق البارسا. لقد كان ليو يعي جيدًا معنى بذل التضحيات؛ سواء من طرفه، أو من طرف عائلته، ولم يكن يشأ إضاعة الفرصة التي أتيحت له. كان الشيء الوحيد الذي يضايقه فيما يخصّ كرة القدم –علمًا بأنّه لم يشتكِ

قـطّ مـن أيّ شيء، على الرغم مـن ظهور الامتعاض والضيق علـى مُحَيّاه– هو اللعـب فـي المكان الذي لا يناسبه. كنت أشركه فـي مواقع مختلفة من الملعب؛ حتـى أطوِّر مهاراته (وهـذا إجراء معتاد في فرق الشبـاب)، فتارة يكون لاعب وسط أو لاعب وسط متقدّمًا، وتارة أُخرى يكون لاعب جناح أيمن أو أيسر، لكنّه لـم يكن يحـبّ ذلك؛ فتراه يغـادر مكانه خلال دقائق معـدودات ليتمركز خلف المهاجمين. لم يكن شيء يردعه عن ذلك».

ما الذي يمكن أن تعلّمه لفتى مثله؟

«أعتقـد أنّه عرَّفنا كرة القدم التي تُلعَب فـي الشوارع، أو كما يسمّونها في الأرجنتيـن «لعـب الحواري»، التي تشمـل المراوغة والتمويه. وقـد حاولنا نحن بدورنا أن نغرس فيـه كرة القدم الهجومية التي نمارسها (الخاصة بالبارسا)، وتشمـل الاستحواذ على الكـرة وقتًا طويلًا، وبذل أقصى مجهـود، والتقدّم إلى الأمام بلمس الكرة مرّتين أو ثلاث، وتبادل الكرة في منتصف الملعب، والضغط علـى الخصـم في مناطقه؛ إذ يتعيّن على كلّ لاعـب أن يُظهِر جميع مهاراته في أثناء اللعب».

مـا أجمـل الصـور والذكريات التي لا تزال عالقة فـي مخيلتك عن ذلك الموسم المنصرم؟

«هناك كثير من الصور العالقة في مخيلتي عن ليو، لكنّ أكثرها روعة هي تلك المتعلّقة بالقناع».

لم لا ترويها لنا؟

«حـدث ذلك في آخر مباريات الـدوري، التي جمعت برشلونـة بإسبانيول علـى ملعب مينيستـادي. كنّا في حاجة إلـى تعادل على الأقلّ لنفـوز بالبطولة.

وبينما كنّا متقدّمين (0-1)، وقع فجأة تصادم بين ليو وأحد مدافعي الببغاوات (لقب نادي إسبانيول). فقد ليو الوعي لحظات، ونُقِل إلى المستشفى في سيارة إسعاف. قالوا: إنّه أُصيب بكسر في عظم الوجنة، وإنّه يحتاج إلى أسبوعين ليتعافى. لم يتمكّن من اللعب في المباراة النهائية لكأس كاتالونيا التي تقرَّر موعدها بعد أسبوعين فقط من ذلك. أحزنت تلك الأخبار الفريق بأكمله، خاصة أنّهم تمكّنوا من هزيمة إسبانيول بنتيجة (1-3)، وتُوِّجوا أبطالًا للدوري. حسنًا... يمرّ الأسبوع الأول، ويخبرنا أطباء النادي في الأسبوع الذي يليه أنّ بإمكان ليو التدرُّب إن ارتدى قناعًا واقيًا. كان لاعب الفريق الأول كارلوس بويول قد عانى قبلها بشهرين إصابةً مشابهةً، وآثر ارتداء واقٍ للوجه على إجراء عملية جراحية. ذهبنا لإحضار القناع لنتعرّف إذا كان بمقدور ميسي استخدامه أم لا. وافق الأطباء على الأمر، وسمحوا له باللعب في النهائي الذي أقيم في الرابع من شهر أيار بشرط ارتداء القناع».

ماذا حدث في المباراة النهائية؟

«بعد بدء المباراة، وقيام ليو بهجومين متواليين، لاحظت أنّه يرفع القناع قليلًا؛ فقياسات القناع لا تناسبه، ولا تتيح له الرؤية جيدًا. يقترب من الدكّة بعد دقيقتين، ثمّ يصرخ صوبي قائلًا: «إليك القناع يا كابتن»، ويرميه باتجاهي. فرددتُ قائلًا: «إن نزعته يا ليو، فسأخرجك من الملعب. تصرّفك سيوقعني في ورطة...». فردّ قائلًا: «لا، أرجوك يا كابتن، دعني ألعب قليلًا فقط». وفي هذه الأثناء، تمكّن من الاستحواذ على الكرة مرّتين في خمس دقائق، ثمّ سجّل هدفين. فقد استلم الكرة من منتصف الملعب في المرّة الأولى، ثمّ وصل مرمى الخصم، وراوغ الحارس مسجِّلًا هدفه الأول. وفي المرّة الثانية تلقّى تمريرة عرضية من فرانك سونغو، ثمّ أنهاها في المرمى على نحوٍ رائع. كنّا متقدّمين

(3-0) مع نهاية الشوط الأول، فقلتُ له: «لقد قمت بواجبك تجاه الفريق، استرح على الدكّة الآن».

يا لها من قصة جميلة! اصدقني القول الآن، هل توقَّعْتَ أن يُحقِّق ميسي ما حقَّقه؟

«نعم. ولكن، ليس بهذه السرعة؛ فقد كنتُ موقنًا أنّه يمتلك الكثير من المواهب، وأنّه سيتمكّن من اللعب مع الفريق الأول. ولكن، أن تتفجَّر مواهبه وطاقاته بتلك السرعة، فهذا ما لم أتوقّعه. لقد حدث كلّ شيء بسرعة كبيرة. لذا، أعتقد أنّه سيترك بصمة وعلامة مميَّزة في هذا العصر إذا لم يتعرّض لإصابة خطيرة».

obeikandl.com